1

ردود علىٰ
شـــبهات للغـــلاة
تتعلـــق بإمـــارة الطالبـــان

الشـــبهة الأولـــىٰ

الشيخ: أبو محمد المقدسي

يتساءل كثير من الشباب البسطاء الذين يتضرّرون بشبه غلاة التكفير:

هل تَكفُر حركة طالبان بإقامتها علاقات مع بعض دول الكفر أو مدحها وشكرها لها أو لبعض الرؤساء الكفار أو العلمانيين الذين يقدمون المعونات والمساعدات لإمارة أفغانستان؟!

الجواب

لقد بيَّنتُ في رسالتي **الثلاثينية في التحذير من أخطاء التكفير**؛ أن من أخطاء التكفير؛ **المبادرة بتكفير كل من مدح أو أثنىٰ أو تعامل مع الكفار وعدَّ ذلك من المكفرات**؛ وبيّنتُ أن أسباب التكفير يجب أن تدل عليها **أدلة الكتاب والسنة**؛ ولا تُؤخذ من الأهواء؛ ولا تخضع للتحزبات والخصومات وردود الأفعال!

فشكر الكافر أو دولته علىٰ معروفٍ أداه للمسلم أو لدولة مسلمة والثناء عليهم لأجل ذلك المعروف أو الموقف الإيجابي؛ ليس كفرًا ولا حتىٰ حرامًا؛ فقد شكر النبي ﷺ للمطعم بن عدي سعيَه في نقض صحيفة الحصار وإجارته له ﷺ لما رجع من الطائف؛ وأثنىٰ عليه في ذلك بموقف عملي معروف؛ فلما أسَرَ المسلمون في غزوة بدر سبعين من المشركين، قال ﷺ: (**لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنىٰ لتركتهم له**)، وفي رواية: (**لأطلقتهم له**).

قال ابن حجر في الفتح: "بأنَّ ذلك مكافأة له علىٰ يدٍ كانت له عند النبي ﷺ، وهي إمَّا مَا وقع من المطعم حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي، أو كونه من أشدِّ من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش علىٰ بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب".

وهذا الهَمُّ بالمَنِّ للأسرىٰ علىٰ المطعم لو كان حيًّا لا شك نوع من الشكر والتقدير والثناء والذكر الحسن لصنيع هذا الكافر مع النبي ﷺ؛ فكيف يكون ثناء المسلم بعد ذلك علىٰ كافر لأجل إعانته أو لأجل موقف مشرف له؛ أو شكره عليه؛ كفرًا!؟ لا شك أن من يدّعي مثل هذا؛ لا يُكَفّر بالمعاصي كما كان يفعل الخوارج؛ بل هو شرٌ منهم إذْ يُكفّر بالسنن الواردات عن النبي ﷺ!

بـل لا حـرج حتـىٰ لـو صـدر الثنـاء مـن المسـلم علىٰ الكافـر في شـيء مـن طباعـه وأخلاقـه الحسـنة؛ دون أن يكـون له يد علىٰ المسـلم؛ وأكرم المسـلم عياله وأحسـن إليهـم بسـبب سـمعة ذلـك الكافـر ومـكارم أخلاقـه؛ فهـذا جائزٌ كمـا فعـل النبي ﷺ حيـن مَـنّ علىٰ سَـفَّانة ابنـة حاتـم الطائي؛

فهـذا كلـه لا دخـل لـه في التكفيـر إلا عنـد الغـلاة الذيـن لا يفقهـون شـيئا؛ بـل لـو داهـن المسـلمُ الكافـرَ ومدحـه فيما لا يسـتحق المـدح عليه؛ لـكان ذلك مُحرّمًـا وزورًا مـن القـول؛ وليـس كفـرًا إلا أن يمـدح كفـره ويثنـي علىٰ شـركه أو يستحسـن قتالـه لمسـلمين أو يعينـه عليهـم بقـول أو مظاهـرة أو نحـو ذلـك مـن المكفـرات؛ فليحـذر طالـب الحـق مـن الخلـط في المسـائل؛ ولا يغْتـرَّ بِشُـبه الخـوارج والغلاة.

أما التعامـل مـع الكفـار دولًا أو أفـرادًا؛ وإقامـة علاقـات تبـادل اقتصـادي أو منافـع؛ وعلاقـات سياسـية وتحالفـات ولقـاءات لأجـل مصالـح الإمـارة وفـك الحصـار عنهـا؛ فهـذا كلـه مـن السياسـة الشـرعية التـي لا حـرج فيها مـا دامـت منضبطـة بضوابط الشـريعة فقـد تعامـل النبـي ﷺ مـع الكفار واسـتقبل وُفودهم من أسـلم منهم بعد ذلـك؛ ومـن لـم يسـلم؛ وعقـد تحالفـات مـع بعضهم؛ وعاهـد بعضهـم؛ واشـترىٰ وباع مـع الكفـار؛ ومـات ﷺ ودرعـه مرهونـة عنـد يهـودي؛ ومعرفـة هـذا يقطـع الطريـق علىٰ شـبهات الغـلاة؛ ويغلـق البـاب علىٰ ترهاتهـم؛ فلْتُراجَع سـيرته ﷺ ولْيُنظَر في كلام العلمـاء وكتبهـم التـي تكلمـت في تفاصيـل التعامـلات والعلاقـات مـع الكفـار دولا وأفـرادًا؛ ففـي ذلـك مـا يجلـو العمـىٰ عـن قلـب المُغتـرّ بمثـل هـذه الشّـبهات.

أخيـرًا فليعلـم أن (**مِـن الحماقـة أن تعمَـل علىٰ إطفـاء نـور ضعيـف في ظلمـة تُرجّـح أنـه لـن يحـل محله إلا ظلمـات بعضها فوق بعـض إذا أخرج يـده لم يكد يراهـا؛ فكيـف حيـن يكـون نـورًا عظيمًـا فيه بقايـا ظـلام هنا وهناك يوشـك الفجـر الصـادق أن يُبدّدهـا؛ وصاحبها صـادق وجاد في إزالتها! فـلا يحارب مثل هـذا النـور إلا الظلاميون والعدميـون والغلاة**).